سلسلة التربية والتراث للأطفال

قصص إسلامية للأطفال

رحلة حذيفة العجيبة في بلاد تعز القديمة

تأليف الكاتب:

علاء عبدالسلام سعيد سيف

قصص إسلامية للأطفال

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ©

بِسْـــــمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِـــــيْمِ

الإهداء

إلى كل طفل يطمح لمواجهة الصعاب بالتقوى والإيمان...

إلى النفوس الطاهرة التي تستمد قوتها وثباتها من كتاب الله وسنة نبيه...

وإلى أطفالنا الأعزاء في كل بقاع الأرض، أهدي هذا العمل ليكون شعلة نور تضيء لهم طريق الصبر والأمانة والتوكل على رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد؛ فإن القصة الهادفة تعتبر من أعظم الأساليب التربوية التي تغرس القيم النبيلة في نفوس الناشئة، وتسهم في تشكيل سلوكهم الإيماني والأخلاقي بطريقة مشوقة تلامس العاطفة والعقل معاً.

وفي هذا الكتاب، نأخذ القارئ الصغير في رحلة تربوية وإيمانية عبر شريط الزمان، لنعود إلى حقبة قديمة جداً من تاريخ اليمن العريق، يوم لم تكن هناك هاتف ولا سيارة ولا طرق معبدة ولا شبكات اتصال، بل كانت الوسيلة الوحيدة للترحال هي الأقدام والتوكل على الله تعالى.

سنعيش معاً أحداث قصة ممتعة ومؤثرة يخوضها غلام صالح ومؤمن في جبال وشعاب محافظة تعز، يتعلم الطفل من خلالها كيف يصبر على البلاء، وكيف يحفظ الأمانة، وكيف يبر والديه، وكيف يثق بأن فرج الله قريب جداً مهما أظلمت الطرقات ووعرت المسالك.

نسأل الله عز وجل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل طفل يقرأه أو يستمع إليه.

المؤلف: علاء عبدالسلام سعيد سيف

الفصل الأول: ليلة المرض والواجب الثقيل

في زمان قديم جداً، حين كانت مدن اليمن تحيط بها الأسوار العتيقة، وكانت الطرقات بين القرى ممرات جبلية ضيقة تقطعها الأقدام والجمال، عاش في قلب مدينة تعز القديمة تحت ظلال قلعة القاهرة الشامخة، غلام صالح يُدعى "حذيفة".

كان حذيفة طفلاً يتيم الأب، نشأ في بيت بسيط مبني من الطين والحجارة القديمة. ورغم صغر سنه، فقد كان معروفاً بين أهل حارته بجودة حفظه لكتاب الله، وصدق لسانه، وحسن أدبه، وبره العظيم بأمه المريضة التي لم يكن لها في هذه الدنيا سواه.

في إحدى ليالي الشتاء الشديدة البرودة، عندما كانت الرياح العاتية تعصف بأبواب المنازل الخشبية، اشتد المرض على أمه، وأخذت تئن من شدة الألم والحرارة المرتفعة، ولم تعد قادرة على النهوض أو الكلام.

سارع حذيفة في عتمة الليل وطرق باب الطبيب الشعبي العجوز في الحارة، فأقبل الطبيب مسرعاً وفحص الأم، ثم زفر زفرة حرى ونظر إلى حذيفة بعينين ملؤهما الأسى والرأفة.

الفصل الأول: ليلة المرض والواجب الثقيل - تابع

قال الطبيب لحذيفة: "يا بني، إن والدتك تعاني من حُمى شديدة لا شفاء لها بعد فضل الله إلا بعشبة نادرة جداً تنمو في أطراف الجبال والوديان النائية في بلاد تعز. وإن لم تجلب هذه العشبة خلال أيام قليلة، فإن حياتها في خطر شديد!".

امتزجت الدموع بعيني حذيفة، لكنه لم يستسلم لليأس، بل جلس عند رأس أمه ومسح جبهتها بالماء البارد وهو يرتل آيات من القرآن الكريم، داعياً الله أن يمن عليها بالشفاء والرحمة.

وفي السحر الأعلى من تلك الليلة الباردة، طرق باب بيتهما رجل مسن من جيرانهم الصالحين. كان الرجل يحمل في يده صرة صغار ورسالة استغاثة مطوية بجلد قديم، ويبدو عليه التعب والإرهاق الشديد.

قال الجار لحذيفة: "يا حذيفة، لقد وصلني خبر أمك وعلمت بحاجتك للسفر. وهذه أمانة مالية ورسالة عاجلة يجب إيصالها إلى يتيم فقير كاد الدائنون يأخذون بيته في أقاصي المحافظة. فهل تجد في نفسك القوة لجمع بر أمك بإغاثة هذا اليتيم؟".

الفصل الأول: ليلة المرض والواجب الثقيل - التكملة

نظر حذيفة إلى الصرة، ثم نظر إلى وجه أمه الشاحب المريض، وشعر بمسؤولية عظيمة تُلقى على كاهله الصغير. لم تكن هناك وسائل مواصلات ولا هواتف ليستعلم بها عن الطرق، بل كان عليه أن يقطع مئات الكيلومترات بين الجبال والوديان مشياً على الأقدام.

وضب حذيفة جرابه البسيط، فوضع فيه مصحفه الصغير، وقليلاً من التمر الجاف، وكوزاً فخارياً صغيراً للماء، ونعلين قديمين خيطهما بنفسه. ثم جثى على ركبتيه عند أمه واستأذنها وقبل يدها ودعا الله قائلاً: "اللهم إني أستودعك أمي، وأسألك أن تجعل رحلتي هذه شفاءً لها وفرجاً لمكروب".

خرج حذيفة من بيته في ظلمة الليل، متوكلاً على الله وحده، يبدأ رحلته الاستثنائية بين مسالك وجبال تعز العظيمة، ودعوات أمه تحيط به كالحصن المنيع.

كانت خطواته الأولى ثقيلة بسبب الخوف والبرد، لكن قلبه كان نابضاً بالإيمان واليقين بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

الفصل الثاني: البداية عبر الأحياء والجبال المرتفعة

مع بداية تباشير الفجر الأولى وظهور خطوط النور البيضاء في السماء، كان حذيفة يطوي الأرض بطيّ خطواته الشابة، فمرّ أولاً بمديرية المظفر التاريخية، حيث كانت المساجد القديمة تكتسحها السكينة، وأصوات المآذن تتردد في الأرجاء بالدعاء والتكبير.

مشى بين الأزقة الضيقة والبيوت الحجرية القديمة، يرتل آيات القرآن الكريم بصوت ندي خافض، كأن القرآن ينير له المسالك المظلمة ويطرد من قلبه وحشة الطريق والخوف من المجهول.

تجاوز بعد ذلك مديرية صالة، وبدأت الطبيعة تتغير تدريجياً؛ حيث اختفت المنازل وتصاعدت التلال والصخور الضخمة، وأصبح الهواء أكثر برودة وجفافاً.

بدأت عقبات الجبال تظهر أمام حذيفة، وكانت الطرق عبارة عن مسارب ضيقة نحتتها مياه الأمطار بين الصخور الشاهقة، أية عثرة فيها قد تؤدي إلى السقوط في الأعماق.

الفصل الثاني: البداية عبر الأحياء والجبال المرتفعة - تابع

واصل الغلام الصالح حذيفة صعوده الشاق باتجاه مديرية المسراخ، حيث كانت السحب تقترب من قمم الجبال، وأخذت قطرات المطر الشديدة تساقط بغزارة متزايدة، مما جعل الحجارة لزجة وخلقة جداً.

وانزلقت قدماً حذيفة في إحدى المنحدرات الصخرية، فسقط على الأرض وتجرحت يداه وركبتاه، وأفلت الجراب من يده ونزل نحو أسفل المنحدر. صرخ حذيفة ألمًا، لكنه سرعان ما تذكر الأمانة التي يحملها ودواء أمه المريضة.

زحف على بليتيه بحذر شديد حتى استعاد الجراب، ثم جلس يستريح تحت جرف صخري يبتعد به عن المطر، وشمر عن ساعديه وأخذ يمسح الدماء عن يديه ويقول بثبات ويقين: "الحمد لله على كل حال، اللهم اجعل هذا المجهود في ميزان حسناتي وفي شفاء والدي".

كان ينظر إلى المطر المتساقط ويرى فيه رحمة الله التي تغسل الأرض، فتذكر أن الفرج يأتي دائماً بعد شدة الصبر والتحمل.

الفصل الثاني: البداية عبر الأحياء والجبال المرتفعة - التكملة

بعد زوال المطر وانتشار الضباب، واصل حذيفة تسلقه نحو مرتفعات مديرية صبر الموادم، تلك الجبال الشامخة التي تطول السماء وتطل على تعز بأكملها كالحارس الأمين.

كانت البرودة هناك شديدة تجمد الأطراف، لكن حذيفة استمر يمسح عرق جبينه ويردد الأذكار بصوت يبعث الدفء في جسده ونفسه. كان يرى بين الحين والآخر بعض الرعاة القادمين من القرى البعيدة يلقون عليه السلام ويتعجبون من صغر سنه وشدة عزيمته.

جلس حذيفة في أعلى قمة بالمنطقة ليتناول تمرة واحدة مع قطرات من الماء، وينظر إلى الخضرة والجمال الذي أودعه الله في هذه الطبيعة اليمنية العظيمة.

شعر بامتنان كبير لله تعالى الذي أعطاه القوة للوصول إلى هذه المرتفعات العالية، وازداد يقينه بأن الله سيحفظه ويصل به إلى هدفه السامي طالما أنه يسير في طريق الخير وإغاثة الملهوف.

الفصل الثالث: العطاء في الوديان والممرات الضيقة

انحدر حذيفة من المرتفعات متجهاً نحو مديرية جبل حبشي، حيث السهول الخضراء والوديان الممتدة التي تجري فيها المياه الصافية في موسم الأمطار.

كانت المسالك هنا أكثر سهولة من القمم الجبلية، لكن السير فيها يتطلب انتباهاً شديداً تحسباً للحيوانات المفترسة أو السيول المفاجئة التي قد تجرف من يعترض طريقها.

وعند وصوله إلى مشارف مديرية مشرعة وحنان، وجد شيخاً طاعناً في السن يرتدي ثياباً رثة، ويسحب خلفه حماراً ثقيلاً يحمل حزماً ضخمة من الحطب الخشبي، وقد تعثر الحمار وسقط على الأرض من شدة التعب.

كان الشيخ العجوز يحاول بجهد كبير رفع الحطب وإقامة الحمار وهو يبكي من العجز وعدم القدرة، ولا يوجد حوله أحد يمد له يد العون في ذلك الوادي الخالي.

الفصل الثالث: العطاء في الوديان والممرات الضيقة - تابع

رغم أن حذيفة كان متعباً جداً ومستعجلاً للوصول إلى أهدافه قبل فوات الأوان، إلا أن تربيته الإسلامية وأخلاقه العالية لم تسمح له بالمرور دون تقديم المساعدة.

اقترب حذيفة من الشيخ العجوز وقال له بصوت دافئ مليء بالاحترام: "السلام عليكم يا عمي، لا تحزن ولا تقلق، أنا هنا لمساعدتك بإذن الله".

شمر حذيفة عن ساعديه وأخذ يرفع حزم الحطب الثقيلة واحدة تلو الأخرى مع الشيخ، حتى استطاعا إقامة الحمار وإعادة ربط الحمل عليه بشكل متزن وصحيح.

ابتسم الشيخ العجوز والدموع يمحيها الرضا من عينيه، ورفع يديه الصغيرتين المرتعشتين نحو السماء وقال: "بارك الله فيك يا بني، وحفظك الله من كل سوء، وجعل لك من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً، وأعادك إلى أهلك سالماً غانماً!".

الفصل الثالث: العطاء في الوديان والممرات الضيقة - التكملة

كانت دعوات ذلك الشيخ الصالح كالبلسم الذي أزال كل التعب والإرهاق من جسد حذيفة الصغير، فشعر بقوة جديدة تسري في عروقه وكأنه بدأ الرحلة الآن.

واصل حذيفة مسيره بقلب ملؤه الفرح والسرور، متوجهاً نحو مديرية الشمايتين العريقة بمدنها وقراها القديمة المعتلية القمم الصخرية.

كانت الطرقات هناك تحيط بها الأشجار الكثيفة والوديان العميقة، وكان حذيفة يحرص على السير بثبات ودون إضاعة لأي وقت، يقرأ ورده اليومي من القرآن الكريم ليكون حارساً له في كل خطوة يخطيها.

شعر بالامتنان لله الذي يسّر له مساعدة ذلك الشيخ، وعلم أن العمل الصالح ينعكس نوراً وبركة على صاحبه في الدنيا قبل الآخرة.

الفصل الرابع: مواجهة الخوف والاختبار الشديد

عندما دخل حذيفة أطراف مديرية المواسط، بدأت الشمس تميل نحو الغروب، وتجلت ألوان الشفق الأحمر العجيبة في أفق السماء، متبوعة ببرودة القسوة وظلمة الليل الدامس.

لم تكن هناك أضواء ولا مصابيح في تلك الأزمنة القديمة، بل كان المسافر يعتمد على ضوء القمر والنجوم لمعرفة الاتجاهات ومسالك الطريق.

دخل حذيفة ممرّاً جابياً ضيقاً بين جبلين في مديرية الصلو، حيث تحف المكان الصخور المظلمة وأصوات الرياح التي تصفر بين الفجوات كأنها أشباح متكلمة.

وفجأة، خرج عليه من بين الصخور رجل ضخم الجثة يرتدي معطفاً خشناً ويحمل في يده عصا غليظة، ووقف في منتصف الطريق يمنع حذيفة من المرور.

الفصل الرابع: مواجهة الخوف والاختبار الشديد - تابع

قال الرجل بصوت جاف وغاضب: "قف مكانك أيها الغلام! ما الذي يجعلك تسير وحدك في هذا الليل المظلم؟ أخرج ما في جرابك وإلا أخذته بالقوة!".

ارتجف قلب حذيفة في اللحظات الأولى من الخوف، لكنه سرعان ما استجمع شجاعته واستحضر في ذهنه معية الله تعالى، فتذكر أن الله يدافع عن الذين آمنوا وأن الخوف لا يكون إلا من الخالق وحده.

وقف حذيفة بثبات ونظر في عيني الرجل بكل هدوء وأدب وقال: "السلام عليك يا أخي. ليس في جرابي ذهب ولا مال لنفسي، بل فيه أمانة مالية ليتيم فقير كاد يضيع، وقليل من التمر ودواء يسير أبحث عنه لأمي المريضة بالحمى".

ثم أخرج حذيفة مصحفه الصغير وقال: "أسألك بالذي خلقك وخلق هذه الجبال الشامخة أن تدعني أُكمل طريقي، وإن كنت جائعاً فخذ تمراتي هذه كلها كليكي تفطر بها".

الفصل الرابع: مواجهة الخوف والاختبار الشديد - التكملة

تسمّر الرجل في مكانه، ونظر إلى وجه الغلام الصغير المنور بالنقاء والإيمان، وسرعان ما انكسرت القسوة في عينيه وتحولت إلى ذهول وتأثر شديدين.

سقطت العصا من يد الرجل ودمعت عيناه، ثم قال بصوت خافض ومليء بالندم: "والله ما رأيت أحداً بمثل شجاعتك وإخلاصك يا بني! لقد كدت أرتكب إثماً عظيماً لأجل الجوع!".

ثم أخرج الرجل قطعة من الخبز اليابس كان يحتفظ بها وأعطاها لحذيفة وقال: "خذ هذه لتستعين بها على طريقك، واذكرني في دعائك الصالح عسى الله أن يتوب عليّ ويمحو ذنوبي".

دعاه حذيفة بالخير والمغفرة، ومضى في طريقه بين جبال الصلو وهو يشكر الله عز وجل الذي يقلّب القلوب ويصرف الشر والضر عن عباده المخلصين.

الفصل الخامس: الإيثار في وادي سامع وخدير

واصل حذيفة مسيرته الليلية متجهاً نحو مديرية سامع، حيث كانت الوديان عميقة والمسالك تحتاج إلى حذر شديد لعدم رؤية معالم الطريق بوضوح.

وبينما كان يسير على جرف وادي سامع، سمع صوت بكاء خافت يخرج من بين الأشجار الكثيفة المظلمة. توقف حذيفة وأرهف السمع ليتحقق من مصدر الصوت.

اقترب بحذر شديد حتى وجد طفلاً صغيراً لا يتجاوز ثماني سنوات، يجلس تحت شجرة وهو يرتعش من الخوف والبرد ويبكي بحرقة شديدة.

اقترب منه حذيفة وقال بطفولة ورفق: "لا تخف يا صغيري، أنا أخوك حذيفة، ما الذي أتى بك إلى هنا في هذا الليل الدامس؟".

الفصل الخامس: الإيثار في وادي سامع وخدير - تابع

قال الطفل وهو ينشج: "لقد خرجت لأبحث عن غنمة ضائعة لأسرتي، فضللت الطريق وأظلم علي الليل ولم أعد أستطيع العثور على قريتي، وأنا جائع ومذعور جداً!".

تذكر حذيفة أمه المريضة والأمانة المنتظرة، وعلم أن التوقف هنا سيكلفه وقتاً ثميناً، لكنه تذكر أيضاً حديث النبي ﷺ: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته".

أخرج حذيفة قطعة الخبز التي أعطاها له الرجل والماء المتبقي معه، وأعطاها للطفل الصغير حتى شبع واطمأن قلبه وزال الخوف من نفسه.

ثم حمل الطفل على ظهره وأخذ يفتش معه عن أثار القرى القريبة في المنطقة حتى استطاع بعد جهد كبير إيصاله إلى باب بيته وسماع فرحة والده وصراخ والدته من السرور والراحة.

الفصل الخامس: الإيثار في وادي سامع وخدير - التكملة

دعا والد الطفل لحذيفة بدعوات صادقة خرجت من أعماق قلبه، وقدم له زاداً جديداً يتقوى به على باقي رحلته الطويلة.

انطلق حذيفة بعدها نحو مديرية خدير ثم مرّ بدمنة خدير، حيث الأراضي السهلية الممتدة والمزارع الخضراء البديعة.

كانت آلام قدميه تزداد شدة مع كل ميل يقطعه، لكن الإيثار ومساعدة الطفل أمدته بشعور عظيم من السعادة والارتياح النفسي.

علم حذيفة أن تقديم يد العون للآخرين لا ينقص من الوقت أو الجهد شيئاً، بل يملأ الوقت بالبركة والرحمة الإلهية التي لا تُقدر بثمن.

الفصل السادس: البحث عن العشبة النادرة

شقت الشمس أفق مديرية ماوية وألقت بأشعتها الذهبية الدافئة على السهول والتلال الممتدة في المنطقة.

وصل حذيفة إلى تلك المناطق وهو يفتش بعينين دقيقتين بين الصخور وعلى حواف الوديان عن العشبة النادرة التي وصفها له الطبيب الشفاء أمه.

تجاوز ماوية وسار نحو مديرية التعزية، يفتش تحت كل حجر وعند كل نبع ماء، لكنه لم يجد العشبة المطلوبة بسهولة، وأخذ القلق ينتابه مع مرور الوقت واقتراب الموعد النهائي الذي حدده الطبيب.

جلس حذيفة على صخرة كبيرة في التعزية ورفع يديه إلى السماء وبكى بتوسل قائلاً: "يا رب، إنك تعلم أنني لم أخرج إلا لبر أمي وإغاثة هذا اليتيم، فلا تحرمني من الدواء ولا تجعلني أعود خائب الرجاء!".

الفصل السادس: البحث عن العشبة النادرة - تابع

بينما كان يدعو بصدق وإخلاص، مرّ به مزارع مسن يمسك بمحراثه القديم، فلما رأى دموع الغلام الصغير توقف وسأله عن السبب.

أخبره حذيفة بقصته كلها وبوصف العشبة النادرة التي يبحث عنها لإنقاذ حياة والدته المريضة بالحمى.

ابتسم المزارع المسن وقال: "أبشر يا بني! فإن هذه العشبة لا تنمو في السهول، بل تنمو في المرتفعات القريبة بين شقوق الصخور التي يصل إليها الندى في الصباح الباكر!".

أخذ المزارع بيد حذيفة وصعد به إلى موقع صخري مرتفع، وهناك، بين شقين صخريين صغيرين، رأى حذيفة عشبة خضراء ذات أوراق دقيقة وأزهار بيضاء صغيرة تفوح منها رائحة عطرية زكية، تماماً كما وصفها الطبيب العجوز!

الفصل السادس: البحث عن العشبة النادرة - التكملة

سقط حذيفة ساجداً لله تعالى على الأرض، يهمس بكلمات الشكر والحمد والدموع تسيل من عينيه فرحاً وتأثراً.

قطف حذيفة العشبة بحرص شديد ولفها بقطعة قماش ناعمة وبللها بقطرات الماء ليحافظ على طراوتها وفائدتها الشفائية.

ودع المزارع الصالح الذي تمنى له الشفاء لأمه، وازداد يقين حذيفة بأن الله عز وجل يرسل المعونة للعباد في الوقت المناسب والمكان المناسب طالما كانت النوايا صادقة وخالصة لوجهه الكريم.

وضع العشبة في أعماق جرابه بحرص شديد، ثم استعد لمواصلة الجزء الأخير والأهم من رحلته لإيصال أمانة اليتيم.

الفصل السابع: رحلة الصحراء والحر الشديد

تجه حذيفة غرباً نحو المناطق القريبة من الساحل، فمرّ بمديرية موزع، حيث تغير المناخ تماماً وأصبح الطقس حاراً والرمال ناعمة والجفاف شديداً.

اختفت الجبال الخضراء وحلت محلها الكثبان الرملية والأشجار الشوكية، وأصبحت قطرات الماء أثمن من الذهب في تلك الأرجاء.

واصل السير نحو مديرية الوزاعية، وكانت الشمس المحرقة تضرب رأسه وتنعكس على الرمال الساخنة فتزيد من شدة العطش والإرهاق.

نفد الماء من كوز حذيفة الفخاري، وأصبح لسانه جافاً وقدميه تؤلمانه بشدة من حرارة الأرض، لكنه استمر يضغط على نفسه ويصبر لكي لا يتأخر عن موعد تسليم الأمانة.

الفصل السابع: رحلة الصحراء والحر الشديد - تابع

سار حذيفة نحو مديرية المخاء، ذلك الميناء التاريخي القديم، وكانت الرياح المحملة بالرمال تطير في وجهه وتجعل الرؤية صعبة للغاية.

شعر حذيفة بدوار شديد في رأسه وسقط على الرمال من شدة العطش والتعب، ولم تعد لديه القوة للوقوف مرة أخرى.

رفع وجهه المجهد نحو السماء وقال بقلب مطمئن: "يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، اللهم أنت حسبي ونعم الوكيل".

وفجأة، أقبلت من بعيد قافلة تجارية تحمل البضائع والتجار القادمين من الميناء، فلما رأوا الغلام الملقى على الأرض سارعوا إليه بالماء والظل والأغذية.

الفصل السابع: رحلة الصحراء والحر الشديد - التكملة

سقاه تجار القافلة حتى اركوى واستعاد عافيته، واستمعوا إلى قصته بكثير من الذهول والإعجاب العظيم بطلاقة لسانه وشدة إيمانه وعزيمته.

قال رئيس القافلة: "والله إن هذا الغلام لآية في البر والأمانة والتوكل على الله! يجب علينا أن نساعده ونوصله إلى هدفه سالماً!".

أركبوه على أحد الجمال وأخذوه معهم نحو مديرية مقبنة، حيث يوجد بيت اليتيم الذي ينتظر الفرج والأمانة المالية.

حمد حذيفة الله على هذه النعمة المفاجئة، وتأكد مرة أخرى أن من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

الفصل الثامن: تسليم الأمانة وفرحة اليتيم

وصل حذيفة برفقة أفراد القافلة التجارية إلى أطراف مديرية مقبنة، حيث القرية البسيطة التي يقطن فيها الطفل اليتيم وأسرته الفقيرة.

ترجل حذيفة من الجمل ووقف أمام منزل صغار مبني من الطين والحطب، وطرق الباب بيده المرتعشة من الفرح والترقب.

فتح الباب غلام فقير في مثل عمر حذيفة، يرتدي ثياباً ممزقة ويبدو على وجهه الشحوب والحزن الشديدين بسب الديون التي أثقلت كاهله وكادت تخرجه من بيته.

قال حذيفة بابتسامة ناصعة: "السلام عليك يا أخي! هل أنت فلان بن فلان؟".
فأجاب الغلام: "نعم، أنا هو، من تكون أنت يا أخي؟".

الفصل الثامن: تسليم الأمانة وفرحة اليتيم - تابع

أخرج حذيفة الصرة المالية والرسالة المطوية من أعماق جرابه الحصين وأعطاها للغلام اليتيم وقال: "أنا حذيفة، جئتك من مدينة تعز القديمة حاملاً لك هذه الأمانة المالية والرسالة من أهل الخير لتقضي بها دينك وتحفظ بها بيتك ونفسك!".

فتح الغلام اليتيم الصرة ورأى المال وشاهد الرسالة، فلم يصدق عينيه من شدة المفاجأة والفرحة العارمة التي ملأت قلبه.

سقط اليتيم على ركبتيه يبكي بحرقة وسعادة، واحتضن حذيفة قوة وقال: "جزاك الله عني وعن أهلي خير الجزاء! لقد أنقذت حياتنا وفرجت كربتنا بعد أن أظلمت الدنيا في وجوهنا!".

تجمعت أسرة اليتيم وجيرانه وشاركوا جميعاً في هذا المشهد المؤثر، وأخذوا يدعون لحذيفة ولأمه بالشفاء والبركة طول العمر.

الفصل الثامن: تسليم الأمانة وفرحة اليتيم - التكملة

شعر حذيفة بلذة عظيمة لا تُعادلها أي لذة في هذه الدنيا، لذة العطاء وإغاثة الملهوف ورؤية البسمة ترتسم على وجوه المحتاجين والفقراء.

رفض حذيفة البقاء والاستراحة لفترة طويلة لأن قلبه كان معلقاً بوالدته المريضة المنتظرة لدواء الشفاء.

استأذنهم بالرحيل، ومضى يقطع طريق العودة بحماس جديد وسرعة فائقة، حاملاً في جرابه العشبة النادرة وفي قلبه دعوات الصالحين واليتامى التي تفتح لها أبواب السماء.

كانت عودته أسرع بكثير بفضل البركة والنشاط الذي ملأ جسده ونفسه بعد إتمام هذه المهمة النبيلة العظيمة.

الفصل التاسع: الشفاء والدروس الخالدة

بعد رحلة عودة طويلة ومباركة، دخل حذيفة أزقة مدينة تعز القديمة مجدداً ووصل إلى بيته تحت ظلال قلعة القاهرة الشامخة.

فتح الباب وسارع إلى غرفة أمه المريضة، فوجد الطبيب العجوز يجلس عندها محاولاً تخفيف آلامها التي كادت تقضي عليها.

صرخ حذيفة ببهجة: "يا طبيب! لقد جئتك بالعشبة النادرة طرية ومحفوظة بفضل الله ورحمته!".

اندهش الطبيب العجوز وفتح القماش ورأى العشبة النادرة طازجة ومحتفظة بكل خصائصها، فقال بدهشة عظيمة: "سبحان الله! كيف استطعت الوصول إليها وإحضارها في هذا الوقت القياسي يا حذيفة؟ إن هذا لفضل عظيم من الله!".

الفصل التاسع: الشفاء والدروس الخالدة - تابع

قام الطبيب بتهيئتها وتحضير الدواء وسقاها للأم المريضة، وما هي إلا ساعات قليلة حتى انخفضت حرارتها وتفتحت عينها وتبسمت لولدها الصالح حذيفة، وعادت إليها العافية والنور بفضل الله عز وجل.

احتضنت الأم ولدها حذيفة وهي تبكي فرحاً وتقبل رأسه ويديه وتقول: "الحمد لله الذي رزقني ولداً باراً مؤمناً يرضي ربه ويبالي بوالدته وأمانات المسلمين!".

تجمع أهل الحارة وأطفال تعز حول بيت حذيفة يستمعون إلى تفاصيل هذه الرحلة المذهلة التي قطع فيها الغلام كل أرجاء ومديريات تعز الشاسعة مشياً على الأقدام ودون خوف أو استسلام.

كان الجميع ينظرون إلى حذيفة بتقدير وإعجاب كبيرين، وتعلم أطفال الحارة أن الشجاعة والحقيقية ليست بالقوة العضلية بل بنقاء القلب والتوكل الصادق على الله.

الفصل التاسع: الشفاء والدروس الخالدة - التكملة

وقف حذيفة بين الأطفال وأهالي المدينة، ورفع مصحفه الصغير بيده وقال بصوت خاشع ومؤثر:

"يا أحبائي ويا أطفالي، تعلمت من هذه الرحلة العجيبة أن من يتق الله ويتحلى بالصبر والأمانة وبر الوالدين، فإن الله سيكون معه في كل خطوة، وسيحميه من كل خطر، وسيفتح له أبواب الخير والفرج مهما كانت الظروف صعبة والطرقات مظلمة!".

عاش حذيفة بعد ذلك حياة مباركة مليئة بالخير والعطاء، وأصبح قدوة حسنة يُضرب به المثل في البر والإيمان والشهامة في كل أرجاء بلاد تعز واليمن العظيم.

الدروس والعبر التربوية المستفادة من القصة:

- **التوكل الصادق على الله:** الاعتماد الكامل على الله تعالى مع أخذ الأسباب يولد القوة والشجاعة في مواجهة أصعب الظروف.
- **بر الوالدين وأثره:** التضحية والمغامرة من أجل شفاء الأم وخدمتها تنزل البركة والرحمة على الإنسان في حياته كلها.

- **حفظ الأمانة وإغاثة الملهوف:** أداء الأمانات لأصحابها ونصرة المحتاجين واليتامى سبب رئيسي في دفع البلاء ونيل فرج الله.
- **الإيثار وحسن الخلق:** تقديم المساعدة للآخرين حتى في أوقات الشدة والتعسير يفتح أبواب البركة والتيسير الإلهي.
- **الصبر والتحمل:** الصبر على الآلام والعقبات يثمر دائماً نجاحاً وشفاءً وفرجاً قريباً بإذن الله.

تم بحمد الله وتوفيقه كتاب "قصص إسلامية للأطفال"

تأليف الكاتب: علاء عبدالسلام سعيد سيف